

الخطرسة الصهيونية : جذورها ووظيفتها

نزیه قوره

درجت معظم الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لمسلك اسرائيل في المجالات السياسية والعسكرية والدعائية والايديولوجية ، على محاولة اثبات زيف وبطلان الادعاءات الصهيونية ، قياسا على المنطق والقانون ومبادئ الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان . ونستطيع ان نجد مئات المقالات والدراسات والكتب التي تأتي بمئات الادلة والبراهين والاستشهادات لتثبت مثلا ان اسرائيل تنتهك حقوق الانسان في الارض المحتلة أو تستهتر بميثاق الامم المتحدة أو تمنح نفسها حق الاعتداء على الدول المجاورة وسكانها المدنيين الامنين ، أو تصدر قوانين تتنافى مع مبادئ العدالة ، أو هي تزور التاريخ .

ان اسوأ مظاهر المواجهة مع العدو الصهيوني هو نظرتنا الى انفسنا كمحاميين نقوم سرافعة حقوقية أمام محكمة كونية مطلقة الحياد . وكان اسوأ مستند قدمناه في مرافعتنا هذه هو مشاهد البؤس والتعاسة والبطالة التي يحيها شعبنا والتي كان العدو يخرج منها باستنتاج واحد : هؤلاء لا خطر منهم ولا بأس من تجاهلهم .

ان المطلوب الآن ، في ضوء النتائج التي أسفرت عنها حرب تشرين ، ليس ايراد الشواهد والبراهين على خطرسة العدو الصهيوني واستهتاره بحقوق شعبنا وبمبادئ الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ، بل البحث عن جذور هذه الخطرسة **والوظيفة** التي لعبتها هذه الخطرسة ، وستستمر في تأديتها ، ضمن استراتيجية العدو .

يجب ان نؤكد أولا ان الخطرسة الصهيونية ليست مطلقة ، أي انها ، كما تتجلى في كتابات مفكري الحركة الصهيونية ، التي هي حركة علمانية بالاساس ، لا تنسحب على علاقة اليهود بكافة شعوب الارض ، وبشكل خاص عندما يتعلق الامر بالشعوب الأوروبية . وعندما كتب هرتسل مخاطبا آل روتشيلد « . . . يجب ان ننسحب من اوربا ، لن نستطيع البقاء هنا بعد أكثر » (١) كان يعبر عن مشاعر الطبقة الوسطى اليهودية التي فقدت توازنها امام نمو الاحتكارات في اوربا . وكان هرتسل متخوفا من نتائج الاعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الاثرياء اليهود لفقراء اليهود ، وهذا التخوف لا يدل على ان الرجل يشعر بالانتماء الى عنصر متفوق . يقول هرتسل في حديثه لهيرش ، وهو أحد المحسنين اليهود الكبار : « هناك ، اول كل شيء ، فكرة الاحسان ، التي اعددها خطأ كبيرا . انك بها تنشئ جيلا من المتسولين . إذ ليس هناك شعب أكثر من اليهود اتكالا على التسول وتأثرا بالاحسان » (٢) . ومن ناحية ثانية كان هرتسل يدرك أدراكا عميقا ان اقامة دولة يهودية في أي مكان تتطلب تبني دولة كبرى لهذه الدولة اليهودية ، وادرك بحسنه العملي ان هذا لن يتم الا اذا رأت الدولة الكبرى في اقامة دولة يهودية ، مصلحة اساسية لها تغطي بمردودها تكاليف الجهود السياسية والاقتصادية التي ستبذلها الدولة الكبرى في اقامة الدولة اليهودية . وقبل الوصول الى سياسيي الدولة الكبرى سعى هرتسل الى الحصول على توصية من مرجع استعماري له خبرة في مجال استعمار بلدان الشعوب الفقيرة . ولم يجد خيرا من